بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 53 الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم المبحث: سورة الإنسان

التاريخ:17\10\2023 م كتبه: عبدالله ضيف الستري

وصل كلامنا إلى قوله تبارك وتعالى في الآية السابعة عشر: ﴿وَيُسْقَوْنَ فيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبيلاً﴾.

هذه الآية المباركة -كما هو واضح- شبيهة بالآية الخامسة من السورة نفسها، وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُورا﴾ الكثير من علماء التفسير مروا على هذه الآية السابعة عشر مرور الكرام، ولم يعمقوا البحث فيها اعتماداً على ما تقدم في الآية الخامسة.

لكن -في الواقع- الكثير لم يقف عند الفوارق بين الآيتين، وهذه هي لطائف التفسير. نعم هناك أمور مشتركة بين الآيتين، ذكرناه في الآية الخامسة.

من جملة المزاج ﴿مِزاجُها كافُورا﴾ و﴿مِزاجُها زَنْجَبيلاً﴾ تعبير وصياغة وهيئة واحدة، فهل المزاج عبارة عن المزيج المركب من الشراب والكافور أو من الشراب والزنجبيل أم هو عبارة عن المزاج والمذاق، أن هذا الشراب كافور ومذاقه زنجبيل أم أنه لا أن الكافور والزنجبيل داخل في تكوين هذا الشراب وإنما الكافور والزنجبيل اسم للعين التي يشرب منها الأبرار. هذا تقدم هناك لا نعيده هنا.

أيضا من الأمور المشتركة بين الآيتين التي لفتت نظر العلماء، والتعبير بـ ﴿كانَ﴾ فـي ﴿يَشْرَبُونَ﴾ صيغة مضارع و﴿يُسْقَوْنَ﴾ صيغة مضارع، وصيغة المضارع تدل على الحال أو الاستقبال، و﴿كانَ﴾ صيغة فعل ماضي. هذا بحثناه هناك أيضاً فلا نعيده هنا.

كما وقفنا هناك ملياً على الفرق بين الوعد والوعيد، في وعيد الكفار استعملت الآيات الفعل الماضي للدلالة على التحقيق، نظير ما جاء في آيات أخرى ﴿ونُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ

فِي الْأَرْضِ﴾[1] بينما في وعد الأبرار استعمل الفعل المضارع؛ ليدل على أن هذه النعم متجددة، تحدث ليس لمرة واحدة، بل تحدث كثيراً.

لكن توجد لطائف مختلف فيها بين الآيتين:

اللطيفة الأولى: ففي الآية الخامسة عبّر بالفعل المضارع المبني للمعلوم، وفي هذه الآية عبّر بالفعل المضارع المبني المجهول، ﴿يَشْرَبُونَ﴾ و﴿يُسْقَوْنَ﴾ فالتنعم في الآية السابقة كان بفعلهم، هم يشربون. والتنعم في هذه الآية لا محالة يكون بفعل الغير؛ لأن الفعل مبني للمجهول، فهم في الواقع مفعول به.

اللطيفة الثانية: أن الآية الخامسة ذكرت ﴿مِزاجُها كافُورا﴾ وذكرت الآية السابعة عشر ﴿مِزاجُها زَنْجَبِيلاً﴾ فهل للأبرار كأسان، كأس مزاجه الكافور وكأس مزاجه الزنجبيل أم ماذا؟

إما بلحاظ اللطيفة الأولى باعتبار أن في هذه الآية السابعة عشر تقدمت عليها آية ﴿وَيُطافُ عَلَيْهِم﴾ فما زال الحديث كل الحديث عن الأبرار، لا نتكلم عن جماعة آخرين كي يقال تارة تتكلم عن الأبرار هم جماعة من أهل الجنة في مرتبة عالية وتارة أخرى تتكلم عن جماعة آخرين من أهل الجنة لكن في مرتبة أدنى، فبذلك يكون الأمر سهل.

هذا التفاوت في التعبير هيئة ومادة نشأ من اختلاف المنعَّم، لكن المفروض أنه في بداية السورة بيّن الباري وتعالى أنه وضع وسائل الهداية للناس كافة ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ بعد أن خلقناه وجعلناه سميعاً بصيراً فأعطيناه هداية خارجية. لكن بعض الناس اختاروا أن يكونوا من الذين يصدق عليهم عنوان الكفور، والبعض الآخر اختاروا أن يكون ممن يصدق عليهم عنوان الشكور، من يصدق عنوان الكفور ﴿إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً﴾ والذي اختار عنوان الشكور ﴿إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُورا﴾.

ثم قلنا بعد ذلك، أن الآيات بيّنت أهم الأفعال التي يمتاز بها هؤلاء الأبرار ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ وما شابه ذلك مما تقدم سابقاً ثم عوداً على بدء بدأت الآيات تفصّل هذا النعيم الذي يقدم للأبرار.

---

[1] الزمر: 68

فما زال الحديث إذاً عن الأبرار، فلا نتكلم عن طائفة أخرى حتى يختلف التعبير هيئة ومادة باختلاف الطائفتين اللتين نتحدث عنهما. إذاً الحديث عن طائفة واحدة، فهذا السؤال سؤال بحق.

في مقام تفصيل هذه النعم، هناك قال ﴿يَشْرَبُونَ﴾ فهذه الكلمة تعتبر نتيجة النعمة، أي العلة الأخيرة للتنعم. إما هذا الشيء كيف يعدّ؟ وبأي طريقة؟ وأين يكون مكانك؟ وما هو الجو الحاكم على المكان؟ هذا جاء في المقطع الثاني تفصيله، أنه بلحاظ المكان في ظلال، بلحاظ الجو لا يوجد شمس وزمهرير. هذا الشراب الذي نشرب منه كيف يصل إلينا؟ وهذا الطعام الذي نأكل منه كيف يصل إلينا؟ قوله تعالى: ﴿وَدانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً﴾ ثم بدأ يفصل أكثر أنه هذا الشراب الذي يأتي إليهم يأتي إليهم بواسطة الولدان ﴿وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ﴾ وهذه الآنية من فضة والأكواب الموضوعة على هذه الآنية هي قوارير شفافة يرى ما هو من خلالها.

فلما بيّن أن هذا يقدّم لهم، فناسب التعبير بالفعل المبني للمجهول لما كان هناك من يطوف عليهم ويقدم لهم هذا الشراب، فناسب أن يعبّر ﴿وَيُسْقَوْنَ﴾ ولم يقل يشربون. فهذه عطف على ما تقدم عليها من هذا التفصيل الذي هو أيضاً كان مبنياً المجهول.

إما بالنسبة للطيفة الثانية، وهي أن الآية الخامسة ذكرت ﴿مِزاجُها كافُورا﴾ وذكرت الآية السابعة عشر ﴿مِزاجُها زَنْجَبِيلاً﴾.

أولا: الإشكالية التي تأتي في الكافور لا تأتي في الزنجبيل، كان هناك شبهة ﴿مِزاجُها كافُورا﴾ أن الكافور ليس شيئاً يستساغ أن يشرب، فلكي تعِد شخص بنعمة بقولك إذا فعلت هذا الفعل سوف أطعمك دماغ الأفعى، فهذا شيء تشمئز منه النفس، فهذا لا يكون وعداً لهذا الذي يعمل عملاً صالحاً. فالكافور ليس شيء متعارف أن يشرب.

بخلاف الزنجبيل، اتفق علماء التفسير أن العرب كانوا يستسيغون خلط الشراب الزنجبيل لهذا المذاق الحاد الذي له، وهناك أشعار في ذلك ذكروها في كتب التفسير. فهذه الشبهة في الزنجبيل لا تأتي، إما في الكافور تأتي هذه الشبهة. من هنا رجح البعض أن العين تسمى كافور، لا أن الشراب يطلق عليه

الكافور، والبعض أجاب عن تلك الشبهة -كما تقدم سابقاً- أن هناك هذا كافور الأرض لا يستساغ، أما كافور الجنة فيستساغ شربه.

لكن قلنا سابقاً لتعد ابتداء هؤلاء المخاطبين، والذين يعرفون ما هو الكافور وما هو الزنجبيل، فلا بد عندما تشوق هؤلاء تشوقهم إلى شيء يستسيغونه، وإلى شيء يعرفونه. نعم يأتي القاعدة الحاكمة أنما في الجنة يشبه ما في الأرض بمجرد التسمية، وإلا فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهذا صحيح، لكن لا بمعنى هنا الكافور لا يستساغ وفي الجنة يستساغ.

ولذا في مثل هذه الموارد الذي يفرّق بين الجنة وبين الدنيا يقول تبارك وتعالى: ﴿لا فيها غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ﴾ عندما يتحدث عن خمور الجنة، أي هذا الأثر الذي يتركه الخمر بعد شربه من وجع الرأس والثقل في الفهم وما شابه ذلك، هذا في خمور الجنة غير موجود، فقد نص على ذلك. إما إذا لم ينص على الفرق فلابد أن يكون هذا مستساغ لهم.

السؤال الأساسي: هل -فعلاً- يوجد لهؤلاء كأسان؟

الكأس إنما يطلق على الكوب إذا كان فيه شراب، فيكون المدار على الشراب لا على الكوب ولا على الآنية. فيكون المدار حينئذ على الشراب، فـ ﴿مِزاجُها﴾ يعني مزاج هذا الكأس بلحاظ الشراب الذي هو فيها.

فهل يوجد لهؤلاء كأسان أم شيء آخر؟

هذا نتحدث عنه في الدرس القادم.